فيما يلي موقف عدد من السوسيو–اقتصاديين الكبار حول ظاهرة المقاول في المجتمعات:

1–المقاولة في الفكر الماركسي:

تعتبر كتابات "كارل ماركس" على مر التاريخ عظيمة الأثر في الحقل السياسي والاقتصادي، والاجتماعي خاصة مؤلفه الشهير " **رأس المال**"، وهذا ما دعمه" **ريمون ارون** "في كتابه مراحل الفكر الاجتماعي، حيث اعتبر المرحلة الماركسية مرحلة تطور العلوم الثلاث(علم الاجتماع والاقتصاد والسياسة) حينما حاول فهم المجتمع الصناعي في ظل الكيان الرأسمالي الاقتصادي .[1]

ففكر **ماركس** السوسيو –اقتصادي حسب " **ريمون ارون** " هو تحليل وفهم للمجتمع الرأسمالي ووظائفه الاقتصادية الاستغلالية، حيث ركز ماركس في المقام الأول على الرأسمالية القائمة على الربح و التنافس، حيث يكون التقدم التقني و المكننة الإنتاجية بالقوة سلاحا للرأسمالي لضمان البقاء في الإنتاجية فالمقاول هو ذلك الفرد الرأسمالي الذي يعمل على تراكم رؤوس الأموال، فمن خلال تعريفه للرأسمالية يرى بأنها نظام للإنتاج يختلف بصورة جذرية عن النظم الأخرى حيث يميز ماركس مرحلتين واسعتين من التنظيم الإنتاجي في الفترة الرأسمالية، المرحلة الأولى تسيطر عليها الصناعة... والطابع المميز لهذا الشكل هو كونه يشمل تفكيك المهارات الحرفية إلى مهمات متخصصة متنوعة ينفِّذها عدد من العمال[2]، ونجده قد حدد عنصرين أساسين يميزان الإنتاج الرأسمالي هما :الرأسمال (المعدات و المال) و العمل بالأجر، ويرى ماركس انه من يمتلكون رأسمال (الرأسماليين) هم الطبقة الحاكمة، بينما أغلبية العاملين هم **البروليتاريا**.

فالنظام الرأسمالي، كما يؤكد ماركس في الصفحة الأولى من رأس المال، هو نظام إنتاج السلعة. في النظام الرأسمالي لا ينتج المنتجون لسد حاجاتهم الخاصة فقط، أو حاجات الأفراد الذين هم على صلة شخصية بهم؛ تشمل الرأسمالية سوقاً للتبادل يتسع للأمة كلها، ويكون في الغالب سوقاً دولياً. ولكل سلعة، كما يقول ماركس، جانبان: "قيمتها الاستعمالية"، من جهة، و"قيمتها التبادلية" من جهة أخرى[3].

فالرأسمالية تشكل بطبيعتها نظاما طبقيا تتميز فيه العلاقات بنمط صراعي، وهي علاقة تبادلية ما بين قوة العمل والأجر، تتميز بالاستغلال والصراع الذي يزداد بقوة مع مرور الوقت،كما يعتبر ماركس من الذين يشجعون على الملكية العامة لوسائل الإنتاج، فهو يعتبر المقاول عبارة عن جماعة تتمثل في الدولة، أما الفرد المقاول فهو ذلك الشخص المنتج كجزء من العائلة، يتخذ أشكالا و تطورات مع مرور الوقت، نتيجة تفاعله بالطبقة الحاكمة الرأسمالية المستغلة للبروليتاريا ، هولا ينفي الفعل المقاولاتي الخاص ولكنه يشجع على المقاولة الجماعية من اجل القضاء على الاستغلال الطبقي فقط.

وهذا التحديد لن يؤثر على المجتمع، ولن يقسمه إلى طبقية صغيرة احتكارية للسلطتين الاقتصادية والسياسية،و إنما سيؤدي هذا حسبه إلى قيام نظام اقتصادي بملكية جماعية، بمجتمع أكثر إنسانية من ذاك المستغل، و بإنتاج أكثر.

---

[1] رحماني إسحاق ، جاب الله الطيب:سوسيولوجيا المقاولات في الجزائر من المداخل الكبرى إلى الدراسات المعاصرة،**مجلة دراسات في علم اجتماع المنظمات** ، مجلد 01، عدد 3،2014،ص110.

[2] أنتوني جيدنز: **الرأسمالية و النظرية الاجتماعية الحديثة –تحليل كتابات ماركس،دوركايم و ماكس فيبر**: تر:أديب يوسف شيش،جامعة كامبرج،دذس،ص42

[3] أنتوني جيدنز ، المرجع السابق،ص53.

فمن خلال التحليلات السابقة للسوسيولوجي " كارل ماركس" حول الرأسمالية وتطرقه للفعل الاقتصادي الرأسمالي، نستنتج أن المقاول هو الرأسمالي الاحتكاري الذي يستغل الطبقة العاملة التي يجب عليها أن تتحد لكي تسترد حقها المهضوم، وبالتالي ينتج لنا مجتمع تحكمه علاقات صراعية، فالمقاولة في الفكر الماركسي هي مؤسسة تحكمها الملكية الخاصة لوسائل الإنتاج[4].

2-المقاول و تراكم رأس المال عند ماكس فيبر:

سيكون السوسيولوجي ماكس فيبر شاهدا على التحولات التي عرفها التطور الصناعي خلال نهاية القرن التاسع عشر؛ ولذلك فإنه فكر في الظروف والعوامل والأسباب المفسرة لها، منطلقا من ملاحظة بسيطة مفادها أن رؤساء (المعامل) أو الزعماء المالكين للثروة لا علاقة لهم بالاقتصاد ولا يحصلون على ما يحصلون عليه بفضل المكانة الاجتماعية، ولكن بفضل عامل الدين، وخاصة المذهب البروتستانتي.

ففي كتابه المتألق "الأخلاق البروتستانسية و روح الرأسمالية " سعى فيبر إلى التدليل على أن الأخلاق البروتستانتية قدمت شرطا مسبقا و ضروريا و كافيا لظهور النظام الرأسمالي، حيث حدد التساؤل الآتي في دراسته: إلى أي مدى تؤثر التصورات الدينية عن العالم والوجود في السلوك الاقتصادي لكافة المجتمعات ؟

يفتتح ماكس فيبر كتابه الأخلاق البروتستانتية بطرح حقيقة إحصائية للتعليل:

حقيقة كون المقاولين وأصحاب رأس المال في أوربا الحديثة، هم و الدرجات العليا من العمال المهرة، وحتى أكثر من ذلك الموظفون الأكثر تدريباً تقنياً وتجارياً في المشروعات الحديثة، كلهم بصورة غالبة من البروتستانتيين.[5]

في نفس السياق يقول "**ريمون أرون**": أن ماكس فيبر في دراسته لتأثير الأخلاق البروتستانتية على الرأسمالية كان يريد أن يؤكد قضيتين هما:[6]

أ- أن سلوك الأفراد في مختلف المجتمعات يفهم في إطار تصورهم العام للوجود، و تعتبر المعتقدات الدينية و تفسيرها إحدى هذه التصورات للعالم، و التي تؤثر في سلوك الأفراد و الجماعات كما في ذلك السلوك الاقتصادي.

ب- إن التصورات الدينية هي بالفعل إحدى محددات السلوك الاقتصادي، و من ثم فهي تعد من أسباب تغير هذا السلوك.

يفسر فيبر هذه الظاهرة بالرأسمالية التي تعني النظام الذي يقوم على المقاولة الصناعية، وحيث الهدف هو تحقيق الحد الأقصى من الأرباح بفضل التنظيم العقلاني للعمل ، وإعادة تنظيم للإنتاج تنظيما عقلانياً موجها نحو زيادة الفعالية الإنتاجية ، نتيجة إدخال روح مشروعات المقاولين (أرباب الأعمال) الجديدة الروح الرأسمالية.

لهذا فالخاصية السائدة التي تميز الاقتصاد الرأسمالي الحديث هي أنه :معقلن على أساس حساب دقيق موجه بتدبر وتبصر وحذَر نحو النجاح الاقتصادي الذي يطلب بصورة حادة مقابل حياة الكفاف الخاصة بالفلاح، وتقليدية الحرفي عضو النقابة ورأسمالية المغامرين الموجهة إلى انتهاز الفرص السياسية والمضاربة اللامعقولة . [7]إنه لقاء بالصدفة

---

[4]رحماني إسحاق ، مرجع سابق،ص110.

[5] ماكس فيبر : الأخلاق البوتستانتية و الروح الرأمالية،في أنتوني جيدنز : **الرأسمالية و النظرية الاجتماعية الحديثة –تحليل كتابات ماركس،دوركايم و ماكس فيبر**، مرجع سابق ص123.

[6]ريمون أرون : **المجتمع الصناعي**، تر:فيكتور باسيل،دارعويدات للنشر، ط3 ،بيروت لبنات ، 1983، ص265

[7] أنتوني جيدنز : **الرأسمالية و النظرية الاجتماعية الحديثة –تحليل كتابات ماركس،دوركايم و ماكس فيبر**، مرجع سابق ص125.

بين الرغبة في الربح و النظام العقلاني اللذين يشكلان هذه الظاهرة المتفردة والأصيلة للرأسمالية الغربية.

بطبيعة الحال فإن الراغبين في الحصول على الثروة كثر ويوجدون في جميع المجتمعات لكن ليس بالتأمل ولا بالغزو وليس بالمغامرة ولكن بالعلم.

فما يميز المقاول هي الرغبة في مراكمة ثروة بلا حدود وبلا نهاية. وبهذا المعنى فإن هناك ذهنية وأخلاقا خاصة بالرأسمالي منها رفض المصاريف غير الضرورية وحب الظهور والعمل بلا كلل. إن المقاول الرأسمالي البروتستانتي يعمل تلبية للدعوة الربانية.

ويرى فيبر أن الدعوة التي تجعل الرأسمالي يعمل بدون كلل ولا ملل تجد أصولها في المذهب الكلفاني. فعلى الإنسان أن يعمل تلبية لنداء الله ولا يجب أن يبذر الأموال تبذيرا حتى يراكم الثروة بأخلاق قاسية وطاهرة وحذرة. ثم إن هذه الرؤية تلتقي بفكرة الفردانية؛ إذ أن كل إنسان سيكون وحيدا أمام الله مما يضعف فكرة الجماعة. ففيبر لم يعالج الجوانب المختلفة للدين بوصفه ظاهرة اجتماعية بل اكتفى بدراسة الأخلاقيات الاقتصادية للدين، و يقصد بها ما يؤكد عليه الدين من قيم اقتصادية. فالرأسمالية تمثل ظاهرة فريدة تنحصر خصائصها الأساسية في المشروع الاقتصادي القائم على التنظيم العقلي، و التي تتم إدارته وفقا للمبادئ العلمية و الثروات الخاصة، و الإنتاج من أجل السوق، و الإنتاج للجماهير و عن طريقهم و الإنتاج من أجل المال، و الحماس المتزايد و الروح المعنوية العالية، و الكفاءة في العمل، تلك التي يتطلب تفرغا كاملا من الفرد ليزاول مهمته.

و هذا التفرغ يجعل من العمل المهني هدفا و مطلبا رئيسيا في حياة الفرد، فالأخلاق المهنية تعتبر من السمات الواضحة لروح الرأسمالية الحديثة.

لقد أكد ماكس فيبر على أن الفعل الاقتصادي هو فعل اجتماعي وسعى إلى فهم طبيعة التغير وأسبابه، متأثرا ب"كارل ماركس "على الرغم من انه قد وجه له انتقادا في بعض مفاهيمه.

فالعوامل الاقتصادية مهمة في نظره، غير أن الآراء والقيم لها أهمية تأثير مماثل على التغير الاجتماعي، وفي نشأة الرأسمالية، و الأخلاق الدينية، فالأولى هو أنه يجب أن يكون هنالك نمط حياة خاصة في العمل، ومنه فالعمل المقاولاتي هو أحد الوسائل التي يلجأ إليها المقاول الحديث لكي يحصل على المردود وبما أن فوائده تزداد

فهو يبحث دائما عن التخزين والادخار ...فالتنظيم الرأسمالي يجعل المقاول يمارس نشاطا تجاريا أو صناعيا وهذا هو النموذج المثالي للمقاول الرأسمالي،كما أعطى فيبر أهمية للأخلاق الدينية البروتيستانتية لممارسة الفعل المقاولاتي، فالتوافق بين الإصلاح البروتستانتي وروح الرأسمالية أنتج طبقة المقاولين.

وبالنسبة إلى صور المقاولة لدى ماكس فيبر فإنها تتضح لنا من خلال دراسته لمورفولوجية المؤسسات الدينية والاجتماعية و الاقتصادية، فهو يرى بأن مسير المؤسسة يسعى إلى الربح والتسيير العقلاني، وهنا تبرز الشخصية المقاولاتية ذات الميزة العقلانية و الكاريزيمة، ويشير فيبر إلى إمكانية ظهور بعض الثغرات كالسيطرة اللاعقلانية على المؤسسات من طرف رجال الأعمال، وهذا ما يؤدي إلى ظهور أزمات اقتصادية .

والفكرة التي نستخلصها من هذا الطرح الفيبري هي أن فعل المقاولة يتطلب شخصية فريدة و استثنائية، تحمل خصائص كاريزماتية، وأن صيرورة المقاولة تتمحور و ترتكز بشكل أساسي على فاعل مركزي، كما أن الأخلاق الدينية و العوامل الثقافية للمقاولة هي سر نجاح العقلنة الاقتصادية ونشأة المجتمعات الصناعية تحت لواء الرأسمالية[8].

---

[8] رحماني إسحاق ، جاب الله الطيب ، مرجع سابق،ص112.

3-شومبتر و دراسات المقاول:

نجد في النظرية الشمبيترية أن المقاول هو ليس مجابه للأخطار و لكنه مجدد، حيث يعرِف المقاول على أنه القائد والمحتوي، فهو إذن يختلف عن من هم محتوون أو التابعين، له ميزة القائد ويضع نفسه في جو الفردية والعقلانية .كما يعمل على كسر الجمود والخمول والتقليد والروتين، ويعرفه شامبيتر أيضا بتبيان صفاته الخاصة،و عدائه للتبعية أي:

1.تنبؤاته مكيفة و ليست محددة و دقيقة الحدوث،

2.تجارب تقوم على أساس العادات و ليست مبنية على المستجدات و العفوية،

3.حسابات مبنية على التفاؤل و ليست على تصور الخيال،

4.سلوكات روتينية تهدف إلى الحيطة و ليست سلوكات مبنية على التجديد تهدف إلى الاستجابة لنفس متطلبات عالم الأكادة.

و بالتالي فإن تواجد الأفراد المجددين على مستوى السوق هو الذي يحدث التغيير، و يبعث سيرورة خلق الثروة والتنمية الاقتصادية، لذا نجد أيضا أن شومبيتر يرفض فكرة والراس عن المقاول الذي يرى بأن هدف هذا الأخير هو على الأقل الوصول إلى نقطة التعادل (لا ربح ولا خسارة)، وكذا يرفض في نفس الوقت تعريف مارشال للمقاول على أنه له وظيفة واحدة تنحصر في إدارة الأعمال أو المناجمنت، حيث يرى بأن المقاول مهمته أوسع من ذلك.

ويؤكد على أن المقاول هو مصدر لتحريك الدورات الاقتصادية، ويخلق ظروف تستوجب وضع سياسات على مستوى الاقتصاد الكلي تعمل على إحداث الاستقرار.

و حسب شومبيتر دائما إن فكرة اعتبار المقاول فردًا مجددًا لا تنحصر على مستوى السوق فقط، بل أنه يؤثر حتى على صورة التاريخ والتحولات الاجتماعية و الثقافية، و هو كذلك الفرد الذي يبادر مهما كان النظام الاقتصادي والسياسي السائد، سواءً كان النظام اشتراكيًا أو رأسماليًا أو حتى عشائري (قبلي)، و مع هذا فهو لا يحمل نفس الصفات التي سادت القرن التاسع عشر إذا ما قورنت مع نظيرتها التي حملها عند ظهور المؤسسات الكبيرة مع بداية القرن العشرين،حيث أن هذه الفترة شهدت تركزًا كبيرًا للشركات، و كان ينبغي فيها على المقاول الذي يريد احتواء كل شيء أن يحمل صفة المنظم و المنسق.

و صورة القائد الفردي هذه تعود حتمًا إلى تطور الرأسمالية و التي تتحول تدريجيا بشكل أو بآخر إلى ما يعرف بتطور رأسمالية الدولة حيث نجد في كتابه Socialisme et Démocratie تنبؤ بنهاية الرأسمالية التقليدية و ظهور نظرية الدولة المقاول.

فالدولة كمقاول ستقوم بثورة على مستوى الزراعة مثلا من خلال الدفع بعملية التحديث على مستوى السياسات الزراعية، و كذا التوسط على مستوى الصناعة من أجل توجيهها إلى التجديد أو مرافقتها من خلال إحداث سياسات استثمارية في البنى التحتية.

وبالتالي فإن نظرية شومبيتر تعالج إذن الخطر و الأكادة والتجديد، فالوظيفة الأولى للمقاول هي تسيير الأخطار أما الثانية فهي التجديد من أجل التوسط في حركية تصحيح السوق ونخلص إلى أنه للمقاول صفتين:

الصفة الأولى : هو لا يخاف تحمل الخطر و هو محفز، إذ أنه يبحث على أن يكون الأول .

الصفة الثانية: فتتمثل في تجنيدهم ومنحهم كل مواردهم مقابل معدل ثابت ثم يقومون ببيع سلع و خدمات بسعرغير أكيد[9].

ف" شومبتر " يعتبر المنظر الرئيسي للمقاولة في نظرية الدور الاقتصادي، وتم دراسة المقاول في هذه نظرية وفق مرحلتين:

-المرحلة الروتينية تتميز بالاقتصاد المتماثل.

-مرحلة الخروج من الروتين إلى الدور الاقتصادي، وفي مرحلة الخروج حسب شومبتر يعود الفضل للمقاول، الذي يعتبره المحرك الأساسي للتطور الاقتصادي .

المقاول عند شومبتر ليس مجرد مسير أو ممول،و ا نما هو مبدع ولقد حدد مجموعة من السمات التي يجب أن تتوفر في الشخصية المقاولاتية لإحداث الثورة في طرق الإنتاج الروتينية كأن يكون ذو شخصية كاريزمية تعتمد على الإدارة وقوة التسيير.

كما أنه قد أشار إلى وجود نوعين من المقاولين، الأول تكراري، ينشئ مقاولة جديدة على غرار مقاولات موجودة، أما الثاني فو مبدع وبالتالي تحمل المقاول للمخاطر وإقباله على المجازفة في إطلاق مجموعة من النشاطات يسهم في توفير إمكانات للحصول على الثروة وتوزيع الملكية، وبالتالي فالمقاولين هم مصدر للتوازن بين الإنتاج و الحاجات، ينشئ وينظم مقاولة جديدة للسوق.. . ،كما يرى شومبتر بأن المقاول هو المحرك الباطني للتغير في النظام الر أسمالي وهو يعتبر المحور الذي يدور عليه كل شيء، كما يؤكد على أن دافع المقاول ليس المال، ولكن الإبداع.

فالمقاول عند" شوميتر "هو عنصر السوسيولوجيا الاقتصادية الذي يوظف نفسه، والذي يتمتع بالاستقلالية التامة ويبادر بمبادرات ووظائف إبداعية، وفعل المقاولة لا يخضع فقط لمعايير حسابات (التكلفة والفائدة) أي العقلانية الآلية،و ا نما يخضع لعقلانيات أخرى تعد أساسية في فعل المقاولة[10].

---

[9] صاندرا سايبي:مقاربة نظرية حول تطور الفكر المقاولي ،**مجلة العلوم الإنسانية**،عدد 40، ديسمبر 2013، ص 205.

[10] اسحاق رحماني ،جاب الله الطيب ، مرجع سابق ، ص113.